على الشاطئ الجبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

للأستاذ محمود الخفيف

على شاطئ النيل (تصوير الدكتور احمد موسى)

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأْتَ الفُؤَادَ شِعْرًا وَسِحْرًا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنْكَ جَبِيناً
من جبين الصباح أَسْطَعُ فَجْرًا
أَنتَ أَشْهَى طَلاَقَةً وَبُكُوناً
وانهلالاً وأنتَ أَجْمَلُ بِشرا

* * *

إنّ هذا السكونَ يَغْمُرُ نَفْسى
من لِقَلْبِي بِرُقْيَةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحى بِحُسْوَةِ المُتَحَسَّى
من صَفَاءٍ تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفَاءِ يُغْرِقُ حِسِّى
ما أراه إلا أَرَقَّ لَحُونِكْ !

* * *

يَا شِرَاعًا لا تَنْثَنِي عَنْهُ عَيْنِي
كيف يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ يَرَاهْ؟
نَامَتِ الفُلْكُ فى سَلاَمٍ وَأَمْنٍ
وسَبَى النِّيلَ حُسْنُهَا وَازْدَهَاهْ
فَجَلاَهَا لِلْعَيْنِ فِي صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْنٍ تَهَزُّنِي صُورَتَاهْ !
رَاعَنِي ظِلُّهُ وَيَارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيٍّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهْ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فَقَصَّرَ فَنِّى
وَبَيَانِي وَفَاتَ جُهْدِي مَدَاهْ

* * *

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النفوسُ إِلَيْهِ
يَغْرَقُ الفَمُّ فِي سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهْتِفُ القَلْبُ بِالجَمَالِ لَدَيْهِ
وَيَفِيضُ الشَّجِيُّ مِنْ تَحْنَانِهْ
لَمَحَاتُ الجَمَالِ فِي إِبَّانِهْ
تَسْكُرُ الرُّوحُ إِذْ تَرِفُّ عَلَيْهِ
فَتَوَلَّى ، فَرَاقَ فِي نَاظِرَيْهِ
بِالسُّلاَفِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ
مَا جَلاَهُ الخَيَالُ بَعْدَ أَوَانِهْ !
يَا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أَصْفَرَيْهِ
كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِي مُقْلَتَيْهِ
فَهْوَ مَا عَاشَ فِي قَرَارِ جَنَانِهْ
هَكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ يديه
خَلَجَاتُ الجَمَالِ من وجْدَانه

* * *

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأَمَّلْ
منظرَ النيلِ فِي سكونِ المَسَاء
اجْتَلِ الحُسْنَ مِلْءَ عينيك وانهَلْ
من صَفَاءٍ يُنسِيكَ كُلَّ صَفَاء

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مرآكَ من بَهِيِّ المَعَانِي
إن كِبا الشِّعْرُ دونَهُنَّ فَحَسْبِي
أن أَرانِي مُسَبِّحًا من بَيَانِي

* * *

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِي خَطَرَاتِكْ
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نباتا
وطَعِمْنَا الجَنِيَّ مِنْ ثَمَرَاتِكْ
لا تَرِي الأَرْضُ ماحَلَلْتَ مواتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُوَاتِكْ
أَنْتَ أَجْرَيْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتا
كُلُّ حَيٍّ أَنْقَاسُهُ مِنْ فُرَاتِكْ !
يا أخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأَرْضِ سَابِقٌ لِبُنَاتِكْ؟
إن تكن قَدْ عَدِمْتَ حيناً رواةً
إن هذا التراب خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظةً وَسُبَاتاً
أى شَيْءٍ أحلى لَهُ من سباتك ؟

الخفيف